

خلف كل تجربة تكمن بركة الشيخ أفرام أريزونا+ نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

الجميع تقريباً يردّون تحوّلهم إلى بعض التجارب. الحزن شيء مزعج. لكن خلفه، خلف الألم، وراء الحزن، هناك بركة الله، هناك تكمن إعادة الولادة، إعادة خلق الإنسان والأسرة. الجميع تقريباً يدينون بتحوّلهم إلى بعض التجارب. يعتقدون أن كل شيء يسير على ما يرام. ثم يأخذ الله طفلهما. محنة كبيرة. ثم تأتي نعمة الله وتلقي بظلالها عليهم ويشعرون بالسلام. يصبحون أقرب إلى الكنيسة، أقرب إلى الاعتراف، إلى الكاهن. بسبب الطفل يذهبون إلى الكنيسة. إن آلامهم تجعلهم يبحثون، ويصلّون من أجل راحة طفلهم، ويطبقون القدايس. الألم يلين القلب ويجعله يتقبل كلام الله. من قبل كان الأمر صعباً ولم يكن يتقبّله. على سبيل المثال، عندما يكون الشخص في عزّ الشباب: "أنا الواحد، لا أحد غيري". لذلك عندهم شهادات، اسم حسن، صحة، مظهر جيد، كل ما يريدون. لكن عندما يصابون بالمرض، يبدؤون التفكير بشكل مختلف. باطل الباطل، كل شيء باطل. أنا قد أموت. ما فائدة كل هذا؟ ويبدؤون بالتفكير بشكل مختلف. ربما، على سبيل المثال، يأتي شخص ما لزيارتهم. "اقرأ هذا الكتاب وانظر ما يقوله". ويسمعون كلام الله. هذا عندما يسمعون كلمة الله. عندما تعطيهم الكتاب، يكون الألم قد جعل قلبهم حساساً بالفعل، ويفتحون الكتاب والإنجيل ويبدؤون القراءة. عندها تبدأ إعادة خلقهم. عندما يتعافون، يستيقظون في الحال ويعيشون حياتهم بطريقة يقظة. إنهم لا يعيشون كما كانوا قبلاً، بكبرياتهم وأحلامهم اليومية.

المرض والحزن هما الدواءان الأساسيان في تدبير الله، لتقريب الناس إليه وزيادة فضائلهم. أيوب كان أفضل إنسان على وجه الأرض، لكن الله أراد أن يجعله أفضل. من وقت تجربته، بدأ زمان تمجّده. لقد كان رجلاً صالحاً يتقي الله، ولكن قبل تجربته لم يكن مشهوراً. منذ اللحظة التي جُرّب فيها وحورب وجاهد توج وأصبح ثرياً، وذلك عندما تنامت سمعته وبقيت على حالها إلى اليوم. إنه مثال ساطع وملهم لكل من يقع في التجربة. فحتى هو الذي كان قديساً حوكم، فكم بالأحرى يصحّ هذا علينا نحن الخطأة. كانت النتيجة أنه أصبح قديساً وبورك بأضعاف ما خسره. بهذا أصبح نموذجاً ساطعاً على مرّ العصور لمن يعانون، حتى يتمكنوا من التكيف مع هذا المثال، والراحة به، والركون إليه، والقول بأن هذا حدث بإرادة الله. تبارك اسم الرب. لقد أحى رأسه وقال: الرب أعطى والرب أخذ. حتى لو أخذ الرب طفلي، أليس هو من أعطاه في المقام الأول؟ هو أخذه. أين طفلي الآن؟ في الجنة؟ ماذا يحدث هناك؟ إنه في راحة.

تكمن وراء كل تجربة إرادة الله والمنفعة التي بطبيعة الحال، في ذلك الوقت، قد لا تكون واضحة ولكنها تُدرّك لاحقاً. عندنا العديد من الأمثلة على ذلك.

من هذه الأمثلة القديسان أندرونيكوس وأثناسيا. كانا زوجين وكان أندرونيكوس صانع ذهب معه الكثير من المال. كان جزء من أرباحه يذهب إلى إعالة أسرته، فيما يعطي الباقي للفقراء الذين لا مال لديهم. كان لهما فتاتان صغيرتان جميلتان. ذات يوم، ماتت كلاهما بسبب أحد الأمراض. ذهبا لدفنهما. بكت أثناسيا المسكينة وولولت فوق القبر. وأندرونيكوس أيضاً كان غارقاً بدموعه. في حيرة من أمره، شق طريقه إلى المنزل فيما بقيت أثناسيا على القبر تبكي: "بنّاي، بنّاي". بدأت الشمس في الغروب وحن وقت إغلاق المقبرة. في حرقتها وحزنها رأت راهباً يقرب منها. سألت: "لمّ تبكين يا سيديتي؟"

"كيف لا أبكي يا أبتّي؟ (فقد اعتقدت أنه كاهن المقبرة). لقد دفنت بنّتي للتو. لقد وضعتهما في القبر. الآن زوجي وأنا وحيدان بالكلية. ما من مؤساة أبداً"

قال لها: "ابنتك هما في الملكوت مع الملائكة. إنهما في فرح الرب وسعاده، فيما أنت تبكين هنا. هذا معيب لأنك مسيحية".
فسألته: "إذاً ابنتاي حيتان؟ أهما ملاكان؟" أجابها: "بالطبع هما ملاكان".
لقد كان ذاك الراهب القديس شفيح الكنيسة هناك (القديس يوستينوس الشهيد). في النهاية،
أندرونيكوس وأثناسيا دخلا كل إلى دير وصارا قديسين.